التواصل اللغوي وأثره في تثبيت القواعد اللغوية
مقاربة لغوية بين الفكر اللغوي للقدماء والمحدثين

إدريس سعيد رحمن أ.د كوليزار كاكل عزيز
جامعة صلاح الدين/ كلية اللغات/ قسم اللغة العربية
Gulizar.aziz@su.edu.krd
Idrees.rahman@su.edu.krd

الملخص

تُعدّ اللغة الركيزة الأساسية للتواصل الإنساني وأداةً جوهريةً منذ وجود الإنسان على وجه الأرض؛ إذ تمثّل وسيلة التعبير عن الأفكار والرغبات ونقل المعلومات والمعارف. كما تتحقّق من خلالها عملية التفاعل بين المرسِل والمتلقّي، بما يجعلها عنصراً محورياً في بناء العلاقات الشخصية والاجتماعية وتعزيز التعاون وتبادل المعرفة. هذا الدور الحيوي أفضى إلى نشوء النظرية التواصلية، التي تعود إرهاصاتها الأولى إلى دي سوسير، قبل أن تتطوّر بصورة أكثر عمقاً على يد جاكوبسون.

يهدف البحث إلى إبراز أهمية التواصل اللغوي وطرائق تحقّقه في الفكر اللغوي العربي القديم، مع محاولة إقامة مقاربة علمية بين هذا الفكر والفكر الغربي الحديث الذي أولى مسألة التواصل عناية خاصة حتى أفرد لها نظرية مستقلّة هي "نظرية التواصل."

وقد اعتمد البحث منهجاً يجمع بين الوصفي والاستقرائي والمقارن، من خلال استقراء آراء علماء العربية القدماء في قضايا التواصل وتفسيرهم لها. كما يتكوّن هيكله التنظيمي من جملة محاور أساسية: الفكر التواصلي في المنظومتين اللغوية والاصطلاحية، أهمية التواصل اللغوي، الفكر التواصلي عند علماء العربية القدماء، الفكر التواصلي عند اللسانيين المحدثين، الالتزام بالقواعد النحوية في عملية التواصل، ومعايير السماح بالانحراف عنها، ولا سيما معيار "أمن اللبس" وتطبيقاته عند علماء العربية على مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة.

الكلمات المفتاحية: (التواصل، أمن اللَّبس، معيار الانحراف اللغوي، النظرية التواصلية).

Linguistic Communication and its Impact on the Consolidation of Language Rules
A Comparative Linguistic Study of Ancient and Modern Linguistic Thought

Idrees Saeed Rahman **Prof. Dr. Gulizar Kaka Aziz**
Salahaddin University/ Faculty of Languages/ Department of Arabic Language
Gulizar.aziz@su.edu.krd
Idrees.rahman@su.edu.krd

Abstract
Language constitutes the fundamental basis of human communication and has been an essential tool since the dawn of humanity. It serves as the primary means for expressing thoughts and desires, as well as transmitting information and knowledge. Through language, interaction between the sender and receiver is achieved, making it a central element in building personal and social relationships, fostering cooperation, and facilitating knowledge exchange. This pivotal role led to the emergence of the communicative theory, whose earliest foundations were laid by Ferdinand de Saussure and later developed further by Roman Jakobson.
This study aims to highlight the significance of linguistic communication and explore how it was conceptualized by classical Arab scholars. It also seeks to establish a comparative approach between classical Arabic thought and modern Western linguistic theories, particularly those that treated communication as an independent and systematic field under what is known as the "Communicative Theory."
The research adopts a combined descriptive, inductive, and comparative methodology, drawing on the opinions of classical Arabic scholars concerning communication and their interpretations of it. The organizational structure of the study is built upon several key pillars: the concept of communication in linguistic and terminological frameworks, the importance of linguistic communication, the communicative thought of classical Arab scholars, the approaches of modern linguists, the role of adherence to grammatical rules in communication, and the criteria that allow for deviation from these rules—especially the principle of "ambiguity avoidance" and its applications in the works of classical scholars as evidenced in selected Qur'anic verses.
Keywords: (Communication, ambiguity avoidance, linguistic deviation criterion, communicative theory).

المقدمة

اللغة هي أساس التواصل بين البشر فللغة أهميةٌ كبيرةٌ للإنسان منذ وجوده على وجه البسيطة فهي الوسيلة الأساسية للتواصل من جهة والتعبير عن الأفكار والرغبات من جهة أخرى وبتعبير آخر فإنَّ أهميتها تتجلَّى في الوظيفة الأساسية لها وهي التعبير والإبلاغ أي توصيل الأفكار وفيها يتفاعل المرسِل مع المستقبل إذاً اللغة هي أساس التواصل بين البشر وهي وسيلة مهمَّة من وسائل نقل المعلومات والأفكار بين الأفراد فالتفاؤل يتحقَّق بالتواصل اللغوي وكذا بناء العلاقات سواء في الحياة الذاتية والشخصية أو الحياة الاجتماعية العامة، علمياً وعملياً، وبالتالي يسهم في تطور الفرد والمجتمع، كون أنَّ التواصل إذا كان جيداً يعزِّز التعاون بين البشر ونقل المعرفة بين المتعلمين وعليه نشأت النظرية التواصلية، وهي من النظريات اللغوية الحديثة، وإرهاصاتها الأولى بدأت عند ديسوسير ولكنَّها تطورت عند جاكوبسون الذي فصَّل في النظرية وذكر عناصرها الأساسية المتشكِّلة لها ألا وهي: (المُرسِل، المُستقبِل، الرسالة، القناة، السياق، الشفرة)، فكان يرى أنَّ كلَّ عنصرٍ من هذه العناصر تؤثِّر في عملية التواصل اللغوي وفهم الكلام، وترى النظرية التواصلية أنَّ التواصل يكون على نوعين: "التواصل اللفظي" ويقصد منه التواصل بالكلمات والجمل والعبارات، أمَّا النوع الثاني فهو "التواصل غير اللفظي" ويعبَّر عنه بلغة الجسد نحو: حركة اليدين أو العينين أو حركة الشفتين وبتعبير شامل حركة أعضاء الجسد.

يسعى البحث إلى بيان أهمية التواصل اللغوي وطريقة تحقُّقه في الفكر اللغوي عند القدماء من علماء العربية، معجميين ونحويين وبلاغيين وإحداث نوعٍ من المقاربة بين الفكرين اللغويين للتواصل بين الفكر العربي القديم والفكر الغربي ولاسيما المحدثين منهم الذين تعمَّقوا في مسألة التواصل إلى حدِّ أنَّهم أطَّروها في نظريةٍ مستقلَّةٍ سُمِّيت بنظرية التواصل وكان رائدها اللغوي جاكبسون الذي كان من أبرز اللسانيين الروس – والأمريكيين وأسهم إسهاماً كبيراً في تطوير الدراسات اللغوية الحديثة ولا سيما في مجال الصوت وفي مجال علم اللغة البنيوي، وقد توصَّل من

خلال تعمُّقه في الدراسات اللغوية إلى مفاهيم أساسية كان أساسها المعادلة التواصلية في اللغويات الحديثة وكانت ثمره هذه المعادلة هي النظرية التواصلية.

والمنهج المتَّبع في الدراسة جمع بين المنهج الوصفي التحليلي فقمنا باستقراء لآراء علماء العربية القدماء وتحليلها في مسألة التواصل وطريقة تفسيرهم لها وكذلك قمنا باستقراء لآراء الغربيين وارتئينا إجراء نوعٍ من المقاربة أو المقارنة بين الرأيين بتوظيف المنهج المقارن وتفسيرها مع بيان أوجه الشَّبه والاختلاف.

والهيكل التنظيمي للبحث يتشكَّل من جملةٍ من الدُعامات منها الفكر التواصلي اللغوي في المنظومتين اللغوية والاصطلاحية ثم أهميَّة التواصل اللغوي ثم الفكر التواصلي عند علماء العربية القدماء والفكر التواصلي عند اللسانيين المحدثين وطريقة الالتزام بالقواعد النحوية وعملية التواصل اللغوي مع بيان معايير السماح بالانحراف عن هذه القواعد النحوية عند النحويين ولاسيما معيار مصطلح أمن اللَّبس وتطبيقاته عند علماء اللغة العربية على عدد من الآيات القرآنية الكريمة، وتوصلنا إلى بعض النتائج التي ثبَّتناها في نهاية البحث.

الفكر التواصلي اللغوي

(في المنظومتين اللغوية والاصطلاحية)

تعدُّ اللغة أداةً أساسيَّةً للتواصل بين البشر، فهي وسيلة رئيسة لنقل الأفكار والمشاعر والمعلومات، وظيفتها التواصلية هي جوهر استعمالها، إذ تُمكّن الأفراد من التعبير عن أنفسهم وفهم الآخرين، إذاً، الوظيفة التواصلية للغة هي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات البشرية والمجتمعات، وفي ضوئها، يستطيع الأفراد التعبير عن أنفسهم، وفهم الآخرين، وتحقيق التفاعل الذي يجعل الحياة ممكنةً ومنظَّمةً، وهنا لا بدّ للتوضيح بشكلٍ أكثر توسّعاً من الإشارة إلى المفهوم اللغوي للتواصل (حمدان ٢٠٠٩، ص/ ٢)، إذ جاء في لسان العرب من مادة (وصل) أنَّ الوصل هوخلاف الفصل: "وصلتُ الشيءَ وصلاً وصلةً والوصلُ خلاف الفصل واتَّصلَ الشيءُ بالشيءِ: "لم ينقطع"،

وتوصَّل إليه: انتهى إليه وأبلغهُ، والوَصلة" الاتصال، والوصل: ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم، ووصل الشيءُ إلى الشيءِ وُصُولًا وتوصَّل إليه: انتَهى إليه وبلَغه" (منظور ١٩٩٣، ج/١١، ص/٧٢٦).

يُفهم "الوصل" في السياق المعجمي على أنه جملة من المعاني التي تدور حول التقارب والاتصال، كأن يكون دالاً على الترابط أو الامتداد أو الاستمرار، كما يُستعمل للدلالة على بناء صلة بين طرفين، سواء في التواصل بين الأشخاص أو في تسلسل الكلام، فنقول تواصل الشخصان بمعنى تلاقت رغباتهما في تفاهم وانسجام، ويُقال أيضًا: تواصل الحديث للدلالة على استمراريته دون انقطاع، وتوالت الأحداث أي جاءت متتابعة متصلة بعضها ببعض.

فالتواصل في مفهومه اللغوي لا يخرج عن معنيين وهما: الأول: هو الربط والجمع بين شيئين وبهذا يكون خلاف النأي والقطع والهجران، أما الثاني: فيكمن في الانتهاء والبلوغ إلى مأرب ما (تغزاوي ٢٠١٤، ص/٣٣)، ومن دون شك فالربط بين شيء وشيء آخر والجمع بينهما يكون حتماً لغاية معينة والعلاقة بينهما علاقة قوية صلبة بشكل محدَّد.

وحينما نُفصِّل القول في المفهوم الاصطلاحي للتواصل فإنَّ أول نقطة يجب الوقوف عندها هي وجود نوعين من التواصل وهما التواصل اللغوي والتواصل غير اللغوي، ويتضح ذلك جلياً في المفهوم الذي أورده شارل كولي (C.COOLEY) إذ يرى أن التواصل هو: "الآلية التي تُبنى من خلالها العلاقات الإنسانية وتتطور باستمرار، إذ يشمل هذا المفهوم كافة الرموز الذهنية التي يستخدمها الإنسان لنقل المعاني، إضافة إلى الوسائل التي تتيح تبادلها عبر المسافات الزمنية والمكانية، ويتجلّى التواصل في مظاهر متعددة، منها: تعبيرات الوجه، وحركات الجسد، ونبرات الصوت، إلى جانب اللغة المنطوقة والمكتوبة، والوسائط الرقمية الحديثة كالإنترنت ووسائل الإعلام التفاعلية، والتي باتت تشكّل امتدادًا متقدّمًا لعمليات التفاعل البشري" (رايص ٢٠٠٧، ص/٣١) و (حمداوي ٢٠١٠، ص/٥٨).

يُمثّل التواصل عملية أساسية يتمّ في ضوئها تبادل المعارف ونقل الخبرات والأفكار بين الأفراد والمجموعات، كما يشمل أيضًا نمطًا داخليًا من التفاعل الذاتي يتمثّل في حديث الإنسان مع نفسه. وقد تتنوّع أنماط هذا التواصل بين اتفاق في الرؤى أو تباين واختلاف في الآراء، لكنه يظلّ جوهرًا تقوم عليه العلاقات الإنسانية، وأداة فاعلة في تنميتها وتطويرها.

وتُسند إلى التواصل وظيفتان محوريتان: "وظيفة معرفية" تُعنى بنقل الرموز الذهنية باستعمال وسائل لغوية كالكلمات، أو غير لغوية كالصور والإيماءات، و"وظيفة وجدانية" تهدف إلى تعزيز أوامر العلاقة والتقارب بين الناس على المستوى العاطفي والاجتماعي.

التواصل يُعدّ الركيزة الأساسية لنمو العلاقات الإنسانية وتفاعلها، وهو ما يستلزم وجود طرفين هما المرسِل والمتلقّي، لتبادل الأفكار والمعلومات الكامنة في ذهن المرسِل ونقلها إلى المتلقّي عبر وسائل محدّدة ضمن إطار زماني ومكاني معيّن. وتتنوّع هذه الوسائل بين لفظية وأخرى غير لفظية. فاللفظية تشمل اللغة المنطوقة المتمثّلة في الأصوات، واللغة المكتوبة التي تنتمي إلى الوسائل المرئية. أمّا التواصل غير اللفظي فيظهر من خلال الإيماءات، وتعابير الوجه، وحركات الجسد كاليدين والقدمين، والتي تندرج بدورها ضمن الوسائل المرئية. ويتجاوز ذلك إلى وسائط رمزية تعبّر عن المواقف والمشاعر دون استخدام الألفاظ، مثل توظيف الألوان، ونوعية اللباس، والزخارف، وتبادل الهدايا، واستخدام الروائح والعطور، وتقديم الورود بوصفها رسائل وجدانية مشفّرة. كما يمكن أن يتجلّى هذا النوع من التواصل عبر إشارات سمعية ذات طابع معياري، كالأصوات التحذيرية في حالات الطوارئ التي تطلقها الطائرات أو السفن، والتي تعتمد أنماطًا صوتية متفقًا عليها دوليًا لنقل رسائل استغاثة واضحة. (الراجحي ٢٠٠٤، ص/٤١-٥٥)

وعليه فإنّ التواصل اللغوي هو الذي يتمُّ عن طريق اللغة منطوقةً كانت أو مكتوبةً، وذلك باستعمال وسائل مختلفة كالخطابات والكتب، أما التواصل غير اللغوي فهو الذي لا وجود فيه للّغة

وإنما يتمُّ عن طريق الحركات والإيماءات، والرموز والإشارات كلغة الصم البكم وإشارات المرور (بالقاسم ٢٠٢٣)، وهي عبارة عن بدائل للكلام وفي كثير من الأحيان تكون مصاحبة له.

إنَّ الفرد العربي يمتلك معجماً يستعمله في حياته اليومية، فالواقع يثبت أننا نحصر أنفسنا في الكلمات التي ندركها أثناء تواصلنا أو كتاباتنا أو إنجاز بحوثنا وهي ذخيرة تعلمناها في مسيرتنا التعليمية أو ما اكتسبناه عن طريق المطالعة مستغنين من الخدمات التي تقدِّمها لنا المعاجم بأنواعها سواء كانت عامة أو متخصِّصة، وهذا ما أدى إلى تقليص المفردات المستعملة في التواصل اللغوي ممَّا جعلها حبيسة المعاجم، ناهيك عن استعماله لمفردات لا تعبِّر عن المعنى الدقيق أو بالأحرى حمّلها معنى غير معناها. (كاظم ٢٠١٩، ص/٢٣)

يعتقد المتعلم العربي أن المعاجم هي مخصصة لشرح المفردات الصعبة فقط، لذلك نجد غياب ثقافة استعمال المعجم لدى المتعلم بصفة خاصة والمؤسسات التعليمية بصفة عامة ناسين الدور الكبير للمعجمات في اكتساب ثروة لفظية هائلة، إضافة إلى تزويدنا بمعلومات موسوعية تساعدنا في تحقيق التواصل في مواقف عدَّة، كما يضفي على أسلوبنا البلاغية الجمالية التي سنكتسبها عبر الشواهد المبثوثة في ثناياه الآيات القرآنية والسنة النبوية، والشعر، والأمثال، والحِكم، وغيرها من عناصر التعبير التي تُضفي على المعنى ثراءً وأصالة، ويتجلَّى ما سبق ذكره في ضوء التعريف أو الشرح الذي يورده المعجمي في معجمه للشواهد الآنفة ذكرها.

أهميَّة التواصل اللغوي

يرى اللغويون أنَّه إلى جانب المهمَّة الأساسية للغة التي هي نقل الأفكار والمعرفة والبيانات سواء أكانت علمية أم اجتماعية أم يومية، فهي تساعد في التعبير عن المشاعر مثل الفرح، الحزن، الحب، والغضب ممَّا تسهم في بناء العلاقات الاجتماعية، عبر المحادثات، الاتفاقيات، أو حتى التفاوض.

إضافةً إلى أنَّها تستعمل اللغة وسيلةً لإقناع الآخرين أو التأثير في آرائهم كما في الخطابات السياسية أو الإعلانات، وعليه فاللغة توحّد أفراد المجتمع وتمنحهم شعوراً بالانتماء الثقافي واللغوي.

ولقد اتَّسعت الوظيفة اللغوية كونها تداخلت مع علوم أخرى، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ، وعلم النفس إلى غير ذلك من هذه العلوم، فتداخلت هذه بتلك، ممَّا أدَّى إلى توسيع دائرة الوظيفة اللغوية (عبدالتواب ١٩٩٧، ص/١٢٥) وفي معرض حديثنا عن اللغة لابدَّ لنا من شرح العناصر الأساسية المُشكِّلة لها فالمادَّة الخام للغة تتمثَّل في مجموعة العناصر الأساسية التي تُبنى عليها اللغة، ويمكن تقسيم هذه المادة الخام على ثلاثة مكونات رئيسة: (الأصوات، المعاني، والقواعد) وكالتالي:

١- الأصوات: هي الوحدات الصوتية الأولية التي تتكوَّن منها الكلمات في أيّةِ لغةٍ، وتشمل الحروف، والحركات، والنبرات التي تُستعمل لإنتاج الكلمات المنطوقة (عكاشة ٢٠٠٥، ص/١٧-١٨)، وهذه الأصوات من شأنها أن تنقل أفكار المتكلم أو المتحدث إلى المتلقي، وما هذه الأصوات إلّا وسيط بين هذا المرسِل، وذاك المتلقي للوصول إلى الأفكار التي يريدها المرسِل، بمعنى أنَّ اللغة أداة تمكّن الفرد من تكوين حياة اجتماعية نامية مع وسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه، كما تساعده على تطوير علاقاته الفكرية واللغوية مع مجموعة الأفراد الذين يحيطون به في مجتمعه ذاك (حسان ١٩٩٠، ص/٢٤٤).

٢- المعاني (الدلالات): المعنى هو المادة التي تُحمَّل بها الكلمات والجمل التي تتيح للمتحدثين التعبير عن الأفكار والمشاعر والمعلومات، وتعدُّ المعاني والدلالات العنصر الذي يُعطي اللغة قيمتها ووظيفتها الأساسية ومن دون المعنى تصبح الأصوات مجرد ضجيج وضوضاء لا داعي له.

٣- القواعد (النظامان: النحوي والصرفي): القواعد النحوية هي النظام الذي ينظِّم ترتيب الكلمات والجمل، لتكوين معانٍ مفهومة وتشمل: الصرف(بنية الكلمات) والنحو(تركيب الجمل) (ميهوبي ٢٠١٠، ص/٧-٨) وأهمية القواعد اللغوية تكمن في أنَّها: تُحافظ على انسجام اللغة وسهولة الفهم بين المتحدثين وعلى دارسي اللغة إتقان القواعد النحوية وذلك عبر فهم القواعد الأساسية للموضوعات النحوية مثل: المرفوعات (الفاعل والمبتدأ والخبر)، والمنصوبات (المفاعيل،

الحال، التَّمييز، النداء، الاستثناء)، والمجرورات (حروف الجر والإضافة) والاهتمام بالجوانب اللغوية كافة لضمان صحَّة الكتابة والنطق وفهم المعاني بشكل دقيق.

(الفكر التواصلي عند علماء العربية القدماء)

ركَّز علماء العربية في تعريف اللغة والبلاغة والبيان على خاصية التواصل، فابن جني (ت ٧٩٢ هـ)، يعرِّف اللغة بقوله: "أما حدّها فأصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم" (جني ٢٠٠٠، ج/١، ص/٣٣) وهو بهذا يكون قد أعطى للغة سمة الجماعية، وهي سمة من سمات التواصل، إذن التواصل سمة لغوية بين الفرد والجماعة إذ لا تكون اللغة لغةً إلّا إذا توفَّر فيها مُلقٍ ومُتلقٍّ، وتكون صالحة للتعبير عن الأغراض.

وانحصرت وظيفة اللغة عند ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) في الوظيفة التبليغية، ويدل على ذلك قوله: (ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهراً جلياً لا يحتاج الى فكر في استخراجه، وتأمل لفهمه وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً. والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أنَّ الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج ليعبِّر الناس به عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم) (الخفاجي ١٩٨٢، ص/٢٢٠-٢٢١).

إنَّ في كلام ابن سنان إشارةً إلى التواصل عبر توجيه رسالة من متكلم إلى سامع، وذلك عبر قناة وهي: (الكلام) فالمتكلم لا غاية له بالكلام ذاته وإنما ليوصل عن طريقه رسالةً إلى سامعيه، ومن هنا فإن عملية التواصل تقوم عند ابن جني وابن سنان في ضوء تعريفهما للغة- على عناصر أربعة: (متكلِّم، سامِع، رسالة، قناة)، كما يظهر أن الإنسان في حاجة اللغة لأداء أغراضه.

ويبرز مفهوم التواصل بوضوح في التراث العربي البلاغي، كما يتجلّى في رأي ابن سنان الخفاجي، الذي يؤكّد "أن تمام البلاغة يكمن في وضوح المعنى بين طرفي الخطاب، بحيث لا يقع السامع في خطأ التأويل بسبب غموض المتكلّم، ولا يعجز المتكلّم عن الإفصاح بما يعبّر بدقة عمّا في نفسه، فيتحقق بذلك التفاهم الذي هو غاية القول ومراد البيان" (الخفاجي ١٩٨٢، ص/٦١)

وهنا يركز الخفاجي على الوظيفة الإفهامية للغة، فمن أوفر حظوظها أنَّها فهم وإفهام بين المتكلم والسامع، ويذهب العسكري(ت ٧٩٣ هـ) في تعريفه للبلاغة إلى أنَّها: "هو كلّ تعبيرٍ يُوصِل المعنى إلى قلب السامع كما هو مستقرّ في نفس المتكلم، فيلامس وجدانه بنفس العمق والوضوح، ويُقدَّم في قالبٍ جذابٍ وصورةٍ مؤثرة تُرضي الذوق وتلفت الانتباه" (العسكري ١٤١٩هـ، ص/١٩).

ويركز السكاكي (ت ٦٢٦هـ) في تعريفه للبلاغة على شرط حسن التركيب حتى تقوم عملية التواصل على أسس صحيحة، فالبلاغة عنده هي: "أن يبلغ المتكلم في أداء المعنى منزلةً يُحسن فيها اختيار التراكيب، ويمنح كل تركيب ما يلائمه من الدقة والوضوح، بحيث تنسجم الألفاظ مع المقاصد، ويتجلّى المعنى في أبهى صوره دون تقصير أو زيادة" (السكاكي ١٩٨٧، ص/٤١٥)، وذلك حتى يتمكَّن السامع من فهم الرسالة المنقولة إليه، بشرط أن يتساوى مع مخاطبه في درجة الفهم أو أن يخاطبه بحسب قدراته الذهنية ومكانته.

كما يظهر مفهوم التواصل في التراث العربي في ضوء الإبانة عن المعاني، حيث يقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ): "البيان هو الوسيلة التي تنزع غلالة الغموض عن المعنى، وتكشف عن مكنون الفكر في النفس، حتى يدركه السامع بوضوح، ويصل إلى جوهره بلا عناء، مهما كانت صورة هذا البيان أو نوع الدليل المستخدم فيه. فالعبرة ليست بشكل التعبير، بل بقدرته على الإيضاح والتوصيل، إذ إن الغاية من كل قول هي تحقيق الفهم بين المتكلم والمخاطب، فكل ما أدّى إلى هذا المقصود، وأبان الفكرة على وجهها، عُدّ من البيان في موضعه"((الجاحظ ١٤٢٣هـ، ص/٧٦).

فالتواصل بحسب رأي الجاحظ- لا يكون بالمنطوق فحسب، بل يكون بالكتابة أيضا إذا كان المخاطب متعلماً وهو الذي أطلق عليه (الخط)، أو يكون بالإشارة والإماءة، وقد يكون بالعقد أو الحال الناطقة بالدلالة التي سماها (النُّصبة) وهي الناتجة عن التأمُّل والتفكُّر.

الفكر التواصلي عند المحدثين

حدّد علماء العصر الحديث العملية التواصلية عبر تحديد عناصرها بطريقة أكثر علمية، واعتمادها كذلك على العلم، فقد قدّم كلود شانون وهو مهندس أمريكي كان يعمل في ميدان الاتصالات الهاتفية نظرية المعلومات (Information Theory): في ورقته البحثية الشهيرة عام ١٩٤٨ بعنوان "A Mathematical Theory of Communication"، أسس – شانون – من خلالها الأساس العلمي لفهم عملية نقل المعلومات ورسم خطاطة تختصر من خلال خاناتها ونمط اشتغالها العملية التواصلية برمتها وبالإمكان توضيحه في المخطَّط التالي:-

(مصدر الخبر ← الباث ← الإشارة النهائية ← المتلقي ← الهدف ← الإرسالية
الإشارة المبثوثة ← الإرسالية)

(بنكراد ٢٠٠٤، ص/٨)

أما اللغويون المحدثون، فقد وصفوا عملية التواصل في ضوء تعريفهم للغة، فأكَّد (دي سوسير) أنَّ اللغة هي بنية ذات عناصر مترابطة، ولا يمكن فهم أي علامة أو عنصر إلَّا في ضوء علاقته بعناصر أخرى في النظام اللغوي ثمَّ أردف قائلاً: بأنَّ التواصل اللغوي يعتمد على تبادل العلامات بين الأفراد، حيث تتفاعل عناصر النظام اللغوي لتوليد المعنى والعمليات الأساسية للحدث الكلامي و تشمل: إنتاج المتحدِّث للعلامة (الدال) –اللفظ–بناءً على المفهوم (المدلول) –المعنى–الذي يريد إيصاله، استقبال المستمع للعلامة وربطها بالمعنى ضمن سياق النظام اللغوي المتَّفق عليه. (اللغة والتواصل، عبد الجليل مرتاض، ص/ ٣٨).

وعليه نرى أن سوسير قد حدَّد دورة تخاطبية بين طرفي الخطاب انطلاقاً من التَّصور إلى الصورة السمعية المنتقلة من صورةٍ كلامية بالنسبة للمتكلم إلى سمعٍ بالنسبة للسامع.

أما مارتينيه فيرى أن: "إحدى وظائف اللغة، الاتصال وهي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها الدخول في علاقات مع بعضهم بعض، وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم". وأيضاً (جاكبسون ١٩٨٨، ص/٦).

ويبدو في ضوء كلام مارتينيه أن للغة وظائف عدَّة، لكن التواصل ربما- يعدُّ من بين أهم وظائفها نظراً لإقامته علاقات متبادلة بين مستعملي اللغة.

وقد قدَّم رومان جاكوبسون (Roman Jakobson) التي أوضح فيها الأبعاد المختلفة للتواصل اللغوي، والوظائف اللغوية حدَّدها بست وظائف (جاكبسون ١٩٨٨، ص/٩٢) وهذه الوظائف هي:

١- الوظيفة التعبيرية (Emotive): تركّز على المرسِل وتهدف إلى التعبير عن مشاعر المتحدث أو موقفه الشخصي.

٢- الوظيفة التأثيرية (Conative): تركّز على المستقبِل وتهدف إلى التأثير فيه أو دفعه للقيام بفعل معيَّن.

٣- الوظيفة المرجعية (Referential): تركّز على السياق أو المحتوى وتهدف إلى تقديم معلومات أو حقائق (جيرو ١٩٩٢، ص/٣).

٤- الوظيفة الشعرية (Poetic)/ تركّزعلى الرسالة نفسها، وطريقة صياغتها، وتهتمُّ بالجماليات اللغوية، مثل الإيقاع والتلاعب بالألفاظ.

٥- الوظيفة التعبيرية/الاتصالية (Phatic): تركّز على القناة وتهدف إلى ضمان استمرارية الاتصال أو فتحه أو إنهائه.

٦- الوظيفة الميتالغوية (Metalingual) / وتركِّز هذه الوظيفة على استعمال اللغة لتفسير أو توضيح اللغة نفسها بمعنى آخر، هي الوظيفة التي تجعل اللغة تتحدَّث عن نفسها، سواء. لتوضيح معنى كلمة، أو شرح قاعدة لغوية، أو إزالة اللبس في الفهم، إذ تُعد الوظيفة الميتالغوية جوهرية في تعليم اللغة، حيث يتم استخدام اللغة لتوضيح معاني الكلمات والقواعد اللغوية وتلعب دورًا محوريًا في

تعليم اللغة وفهم النصوص المعقَّدة، كما يرى جاكبسون: أنَّ الوظيفة الميتالغوية جزءٌ أساس من اللغة. "لأنَّها تُظهر وعي الإنسان بنظام اللغة الذي يستخدمه، وهذا ما يجعل اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل أيضًا موضوعًا للتأمل والتحليل" (بنكراد ٢٠٠٤، ص/٩)

الالتزام بالقواعد النحوية في عملية التواصل اللغوي

اللغة عبارة عن قواعد يُعدّ الالتزام بمبادئ الكتابة السليمة شرطًا أساسيًّا لإنجاح عملية التواصل، القائمة على مبدأي الفهم والإفهام.

وتستند الكتابة الصحيحة في العربية إلى منظومة من القواعد التي تكفل وضوح النصوص ودقّتها؛ ويتطلّب ذلك مراعاة القواعد النحوية والصرفية والأسلوبية عند صياغة الجملة، وفهم العلاقات التي تربط بين مكوّناتها، إضافةً إلى الإلمام بمواضع الحركات الإعرابية كالرفع والنصب والجر والجزم وأثرها في بنية الكلمة. (م. عيد ١٩٨٩، ص/٤٥)، وكذلك ما قرّره ابن الحاجب في الكافية في النحو من ضوابط لهذه الأحكام (الحاجب ٢٠٠١، ص/٣٥)، ويشمل ذلك أيضًا تطبيق القواعد الصرفية بدقة، وضبط صيغ الكلمات، والتمييز بين الأساليب الخبرية والإنشائية، مع اختيار الصيغة الملائمة للسياق.

وفي جانبٍ آخر يجب على المتكلم ترتيب الجمل والمعلومات على وفق التسلسل المنطقي فإنَّ ترتيب الأفكار اللغوية في النصوص أو الخطابات (الأنصاري ١٩٨٥، ص/ ٢٠-٣٠)هو عنصر أساس لضمان الوضوح، والتسلسل المنطقي، وسهولة فهم المعنى يتطلَّب الترتيب الجيد للأفكار تخطيطاً دقيقاً وبنيةً واضحةً، سواء كان النص أكاديمياً، أدبياً، أو حوارياً نحو ترتيب الأفكار والتدرُّج من العام إلى الخاص ومن السبب إلى النتيجة وتحقيق مبدأ التدرُّج الزمني، مع مراعاة الترابط النصي بالتوظيف الصائب لأدوات الربط اللفظية والمعنوية.

إنَّ تثبيت القواعد اللغوية هو عملية للحفاظ على القواعد الأساسية التي تحكم بنية اللغة وتركيبها، وهذه العملية ضرورية لضمان الفهم الصحيح للنصوص، سواء كانت مكتوبة أو شفهية (حسن

٢٠١٨، ج/١، ص/١٥) وتساعد في تحسين التواصل بشكل فعَّال وفي فهم المعنى المقصود من الكلام بشكل دقيق؛ ذلك أنَّ القواعد تضمن بناء الكلمات والجمل بطريقة سليمة لا تحمل لَبسًا أو غموضًا.

والخروج عن القواعد اللغوية والنحوية في اللغة العربية يمكن أن يحدث في بعض الحالات، إما لأغراض أدبية وفنية أو بسبب الاستعمال غير الدقيق وفيما يلي أبرز الحالات التي يُسمح فيها أو يُتجاوز فيها على القواعد:

حذف حرف الجر، حذف حرف العلة، التغيير في الإعراب: مثل رفع كلمة بدلاً من نصبها أو العكس، التقديم والتأخير للعناصر داخل الجملة، الالتفات نحو: الانتقال بين الضمائر: (من المتكلم إلى المخاطب أو الغائب لتحقيق أغراض بلاغية) (سيبويه ١٩٨٨، ج/١، ص/٢٠٠) وينظر (جني ٢٠٠٠، ص/١١٥)

معيار السماح بالانحراف عن القواعد النحوية عند النحويين

الجدير بالإشارة أنَّ الخروج عن القواعد في النصوص يكون مقبولاً إذا أُمِن اللَّبسُ فظاهرة (أمن اللَّبس) تُعنى بمنع أو تقليل احتمالية وقوع الغموض أو الالتباس في فهم المعاني اللغوية، سواء كان في التعبير الشفهي أو الكتابي، فالالتزام بالقواعد يُعزِّز من قوة اللغة يُجِّنب اللَّبس، ولا سيما في الكتابة الرسمية أو العلمية.

فاللّبس في اللغة العربية يُشير إلى الاشتباه أو الغموض الذي يحدث عند اختلاط الأشياء أو المعاني بحيث لا يتم التمييز بينها، فيُقال: (لَبَسَ عليه الأمرُ) إذا اشتبه عليه ولم يتَّضح، أمَّا (أمن اللَّبس)، فهو إزالة لهذا الاشتباه أو الغموض لضمان الوضوح.

يظهر لنا في ضوء المصطلح القائم على علاقة التضايف بين كلمتي الـ: (أمن)، و (اللَّبس) أنّ علينا أن نبحث في المفهومين اللغوي والاصطلاحي لهذا اللفظ في معجمات الألفاظ ومعجمات المصطلحات.

معيار مصطلح (أمن اللَّبس)

أمن اللَّبس هو أداة نحوية أساسية تهدف إلى ضمان وضوح المعنى في النصوص العربية في ضوء إزالة الغموض أو التباس الفهم الناتج عن تركيب الجملة أو استعمال الكلمات المتعددة المعاني، كما يعدُّ هذا المفهوم من الأساسيات التي لا يمكن التغاضي عنها في النحو العربي. لأنَّه يُسهم بشكل أساس في الحفاظ على الدقة والفهم السليم للغة، سواء في الأدب، أو في القرآن الكريم، أو في أي سياق لغوي آخر. (صبح ٢٠١٣، ص/١٢٨٥)

إذاً، نستدلُّ ممَّا قيلَ إنَّ اللَّبس مصطلح نحوي يُستعمل للإشارة إلى التوضيح أو إزالة الغموض الذي قد يعتري فهم بعض التراكيب اللغوية في اللغة العربية، وقد يشير إلى ضرورة التأكد من عدم وجود أي لبس أو اشتباه في تركيب الجمل بحيث يصبح المعنى واضحًا لا يحتمل أكثر من تفسير، وإن لهذا المفهوم أثرٌ كبير في الدقة اللغوية ولاسيّما النحوية، إذ لا يُقبل أن يتداخل المعنى أو يُساء فهمه بسبب سوء ترتيب أو عدم وضوح العناصر النحوية في الجملة، فاللغة العربية تعتمد بدرجة كبيرة على التركيب النحوي لتحديد العلاقات بين الكلمات، إذ يمكن أن يغيَّر التقديم والتأخير أو اختيار الحروف المناسبة في الجملة، المعنى بالكامل للجملة أو النص. لذلك فإن أمن اللبس يساعد على توضيح المقصود ويمنع التفسير الخاطئ للنصوص.

المفهوم اللغوي للفظة (اللّبسَ)

لفظة ال: (لَّبس) "اللام والباء والسين" أَصل صحيحٌ واحد عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) "يدلَّ على مُخَالَطةٍ ومداخلَةٍ من ذلك: لَبِستُ الثوبَ ألبَسهُ، وهو الأصل ومنه تتفرَّع الفروع، وَاللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ

الْأَمْرِ، يُقَالُ لَبِسَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ أُلْبِسُهُ بِكَسْرِهَا" (فارس ١٩٧٩، ج/٥، ص/٢٣٠) ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ٩﴾ [الأنعام: ٩]

فالخلط وهو مصدر قولك: لَبستُ عليهِ الأمرُ، ألبسَه، يقال: إذا خلطتُ بعضه ببعض، فاللَّبس بالفتح واللِّباسُ: مَا يُلْبَس، وَكَذَلِكَ المَلْبَس واللِّبْسُ، بِالْكَسْرِ، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥] أي يجعلكم فِرقاً مختلفين (منظور ١٩٩٣، ج/٦، ص/٢٠٢).

و"لبَّس الحق بالباطل، ولابسَ عمل كذا، أو التبس به وتلبَّس، ولابستُ فلاناً حتى عرفتُ دِخْلَتَهُ، خالطتُه والتبست عليه الأمور، وفي أمره لبسٌ ولَبسةٌ بالضم إذا لم يكن واضحاً" (الزمخشري ١٩٩٨، ج/٢، ص/١٥٦).

واللَّبس أيضاً هو اختلاط الظلام، ولِباس كل شيء غشاؤه، ولِباس الرجل، امرأته وزوجها لِباسها، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ ... ٧﴾ [البقرة: ١٨٧]

أي مثل اللِّباس، "وألْبستِ الأرضُ، غطّاها النباتُ، وألبستُ الشيء بالألف إذا غطيته يقال: ألبستِ السماءالسحاب إذا غطّاها والتبس بي الأمر اختلط وتعلّق" (منظور ١٩٩٣، ج/٦، ص/٢٠٢)

ومن كل الذي تقدَّم ذكره نخرج بالمعاني التالية لـ: (اللَّبس):

١- الأصل في معنى لفظة الـ: (لَّبس) المخالطة والمداخلة، كما قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ومنه لبستُ الثوب، وقد تفَّرعت منه الفروع، "فاللِّباس كل ما يُلْبس فيخالط الجسم ويداخله، ولبس الكعبة ما عليها من لباس ولبس الهودج مَا عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ. يُقَالُ: كشَفْت عَنِ الهَوْدج لِبْسَه، واللّبوس: الثياب والسلاح ، واللَّبسةُ: حالة من حالات اللُّبس، والملْبس كاللِّباس، والمِلْبس الذي

يلبِسك ويجلِّلُك، والتلبيس كالتدليس والتخليط وهكذا"، وحالات اللَّبس هي كالتالي:- (منظور ١٩٩٣، ج/٦، ص/٢٠٣)

٢- كلّ أمر خالَط غيره فهو مُلبِسْ

٣- كلّ أمرٍ لم تستبِن جهته فهو مُلبِسْ .

٤- كلّ أمرٍ أشتبه بغيرهِ فهو مُلبِسْ .

٥- كلّ أمرٍ لم يتَّضح لك قصدُه فهو مُلبِسْ .

٦- كلّ أمرٍ لم تعرف دِخلَته فهو مُلبِسْ

٧- كلّ أمرٍ أشكلَ عليك فهو مُلبِسْ.

يُقصد باللَّبس كلّ ما ينشأ عن اختلاط المعاني أو تداخلها على نحوٍ يُخفي حقيقتها، أو يُغطي ملامحها، بحيث يصعب التمييز بينها، فلا يظهر وجه الكلام على صورته المقصودة.

وأما لفظ(أمن) فله معاني أيضاً لذلك نحاول أن نربط بين معناه ومعنى اللبس لنصل الى معنى مشترك بينهما إذ يشير لفظ الـ: (أَمن) إلى الجذر اللغوي (أمِنَ) ويبيّن ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) "أنّ هذا المصطلح المكون من أصلين لغويين متقاربين يتكوّنان من الحروف: الهمزة والميم والنون، أولهما يدل على الأمانة الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ، ويُراد به طمأنينة القلب واستقراره، والثاني يفيد معنى التصديق، وهذان المعنيان متداخلان بطبيعتهما، إذ يُقال: "رجل أمِنَة"، أي محلّ ثقةٍ لا يُخشى جانبه، وهو ما يعود في جوهره إلى أصل الدلالة المرتبط بسكون النفس واطمئنانها" (فارس ١٩٧٩، ج/١، ص/١٣٣-١٣٤)

والأمن هو نقيض الخوف، والأمانة أيضا التي هي ضد الخيانة، كما يُضادُّ الكفر بالإيمان، إذ يُعدّ الإيمان تصديقًا في جوهره، فيُقابل بذلك التكذيب، ومن هنا فإن الجذر اللغوي (أَمِن) هو ضد الخوف، وضد التكذيب، وضد الخيانة، والصدق في القول والفعل (منظور ١٩٩٣، ج/١٣، ص/٢١).

المفهوم الاصطلاحي للفظة (أمنُ اللَّبْسِ)

اللَّبس في الاصطلاح هو: "احتمال اللفظ أو العبارة لأكثر من معنى دون أن تكون الغلبةُ لمعنى على آخر"، (يعقوب ١٩٩٨، ص/٧٨) ولكي يكون الكلام مفهوماً لابدَّ من أَمنِ اللَّبس: يُعدّ هذا المفهوم على أنَّه علَّة نحوية معتبرة وجوهريّة، وتعدُّ أصل العلل، إذ إنّ الغاية من اللغة تحقيق الفائدة، ومن ثمّ فإنّ دافع الإفادة يُعدّ أصلًا، في حين يُنظر إلى اللّبس على أنّه طارئ يعترض سلامة الفهم. وتكمن أهميّة هذه العلّة في كونها مبررًا أساسًا للفصل بين البُنى والتراكيب التي قد تؤدّي إلى التباس المعنى أو غموضه. (الزاملي ٢٠١٣، ص/٩).

فأمن اللبس ظاهرة نحوية استعان بها النحاة في تفسير كثير من الظواهر النحوية والصرفية واللغوية التي لا تَتَساوق مع القواعد المنصوص عليها.

وخلاصة الأمر كما قلنا فإنَّ اللَّبس ظاهرة لغوية تشتمل عليها كل اللغات بل جوهرية في كلام كبار المبرَّزين من الأدباء واللغويين، إذ لا يسلم منه أحد وإن بالغ في التوقّي والحذر. (حسان، مقالات في اللغة والأدب ٢٠٠٦، ص/٣٦٢)

وكثيراً ما يردُ هذا المصطلح –أمن اللَّبس– عند علماء النحو والبلاغة، ويشير إلى ما يرتبط بجانب التفريق بين معنىً وآخر في ضوء عناصر التركيب والبنية، فليس أمر التركيب مجرَّد ضمّ مجموعات الكلام بعضها إلى بعض، وإنَّما يرتبط بجوانب المعنى ارتباطاً وثيقاً، فلابدَّ للُّغة من وضع حدودٍ فاصلةٍ يُؤمن معها عدم اللَّبس، كي لا يلتبس على القارئ أو المتلقي معنىً بمعنى آخر أي يتشاركان بالبنية نفسها. (حسان، اللغة العربية معناها ومناها ٢٠٠٦، ص/٣).

مصطلح أمن اللَّبس يعدّ مفهوماً قديماً في الدرس اللغوي عامّةً، والنحوي خاصّةً، فقد أشار إليه النحاة الأوائل، وفي مقدّمتهم المبرد (ت ٢٨٥هـ)، مؤكّدين أنّ ما قد يعتري الكلام من لبسٍ لا بد من دفعه والاحتراز منه، وذلك بالاستعانة بعلامات فارقة تُعين على صفاء المعنى ودقّة الأداء، وفي طليعتها ما يتّصل بالتراكيب وبنى الألفاظ (المبرد ٢٠١٥، ج/١، ص/١١١).

فإن النحاة القدماء يعرِّفون مصطلح أمن اللَّبس معرفة تامَّة، وهم يجدون فيه سبيلاً لبيان مظاهر الاختلاف بين عناصر الكلام المختلفة، "فمفهوم أمن اللبس لديهم قائمٌ على أساس التخلُّص من قيم التشابه بين عنصرين لغويين"، (الأنباري ٢٠٠٣، ج/٢، ص/٦٢٣) سواء أكان هذان العنصران ضمن المستوى النحوي، أم ضمن المستوى الصرفي، أم ضمن المستوى الصوتي.

يعني هذا أنَّ أصحاب المعاجم الاصطلاحية لم يضعوا لأمن اللَّبس مفهوماً مخصَّصاً أو محدَّداً كما هو الحال عند علماء اللغة، ولكن أهل المعاجم اللغوية والاصطلاحية جعلوا لبعض المصطلحات والمفاهيم سبيلاً للوصول إلى معنى أمن اللَّبس، إذ يشير الكفوي (ت١٠٩٤هـ) مثلاً إلى بعضٍ من ملامح مفهوم أمن اللَّبس من خلال حديثه عن مصطلحات أخرى ذات علاقة وثيقة بهذا المصطلح، إذ بيَّن أنَّ تحقُّق اللَّبس يدل على تساوي الاحتمالات جميعها في أي شيء كان، وهنا لابَّد من رفع هذا الالتباس، أمَّا مفهوم توهّم اللَّبس، فهو مختص برجحان بعض الاحتمالات على بعضها الآخر، وهنا لا يُشترط رفع هذا الالتباس، ومن خلال حديث الكفوي عن تحقق اللَّبس، وتوهُّم اللَّبس، يُفهمُ من كلامه أنَّ أمنُ اللَّبسِ، هو عدم تساوي الاحتمالات، واختلافها اختلافاً فاصلاً بينها، (الكفوي ١٩٩٨، ص/٣١٦)

عبر عرضنا لمفهوم أمن اللَّبس عند أصحاب المعاجم يمكننا أن نصل إلى أمرين اثنين هما:

الأول: لم يضع أصحاب المعاجم الاصطلاحية مفهوماً محدَّداً لأمنِ اللَّبس، شأنهم في ذلك شأن اللغويين والنحاة خصوصاً، إذ تحدَّثوا عنه حديثاً عاماً، ولكنهم لم يضعوا له مفهوماً خاصاً.

الثاني: إنَّ الحديث عن أمن اللَّبس عند أصحاب المعاجم في أكثر الأحوال لم يأتِ على هذا المصطلح، وإنما جاء مرتبطاً بمصطلحات أخرى، كتحقُّق اللَّبس، وتوهُّم اللَّبس، والأمن عند اللَّبس، وغيرها من المصطلحات التي تختلف عن هذا المصطلح في طبيعته بنيته المفاهيمية وتوجهه التركيبي.

وفي ضوء نظرتنا فيما سبق من آراء العلماء واللغويين في مفهوم أمن اللَّبس، يمكننا أن نصل إلى المفهوم العام الذي أشار إليه هؤلاء العلماء جميعهم، على الرغم من أنهم لم يجعلوا له مفهوماً واضحاً، وهو: انتفاء وقوع الخلط أو الالتباس على المتلقي بصيغة ما، وإمكانية استيضاح ما يقصده المتكلم أو المرسِل من رسالته الكلامية، من دون أن يشتبك المعنى بمعنى آخر مغاير أو مشابِه له في الدلالة، ممَّا يترتَّب عليه بعض الأحكام اللغوية، منها ما يتعلَّق بانتفاء علامةٍ، أو تحوُّلها، أو حذفها، أو زيادتها.

أن اللغة أساس العملية التواصلية بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة، وحتى تُحقَّق هذه العملية الغاية ثمارها المرجوّة، وهي التعبير عن أغراض المتكلمين، لابدَّ من توافر شرط الإفادة فيها؛ لأنَّه بها تقع الإبانة ويتحقق الإفهام، ولا يمكن أن يتم ذلك إلَّا بالابتعاد عن اللَّبس، فاللَّبس محذور (ثمَّ وُضِع له ما يزيل أثره إذا خيفَ وأُهمل ما يشبهه عند زوال هذا الخوف) (السيوطي ٢٠٠٧، ج/١، ص/٢٩٢).

وقد وعى القدماء هذه الحقيقة اللغوية، فكان من قواعدهم الأصل في الكلام الإفادة، و لا يجوز الابتداء بالنكرة لأنها غير مفيدة. (عقيل ١٩٨٠، ج/١، ص/٢١٥)، فإذا زالت الفائدة أو التبسَت صار الكلام عبارة عن ركام من الألفاظ، (بالحبيب ١٩٩٨)أو كَمن يصوِّت صوتاً من دون معنى.

ولأجل ألَّا تقع اللغة فيما تقدَّم انبنى هيكلها العام على نظام متكامل من العلاقات والعلامات، يقوم التفريق بين وظائفها المختلفة على أساس من المخالفة بين العلامات؛ ولهذا لا يجوز أن تتفق علامتان في الشكل وقد أُريد لكلّ منهما أن تدل على معنى مغاير لِما تدلّ عليه الأخرى، فلو حدث ذلك لالتَبس المعنى ، وأصبحت الدلالة عليه غامضة غير واضحة، أو لأصبح اللبس غير مأمون (حسان، أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية ٢٠١٧، ص/١٢٤).

موضوع (أمن اللَّبس) في النحو العربي قد نوقش بشكل غير مباشر في العديد من مؤلفات العلماء والنحويين الكبار، وعلى الرغم من أن هذا المفهوم لم يُصاغ دائماً بالشكل الذي نستعمله اليوم لكن

العديد من علماء النحو العرب قد اهتموا بمسألة التمييز بين المعاني المختلفة وإزالة اللبس في التركيب اللغوي، ولاسيما فيما يتعلق بتوضيح العلاقات بين الكلمات في الجمل.

تطبيقات أمن اللَّبس عند علماء العربية

درس علماء العربية العلاقة الدقيقة بين الكلمات والعبارات في الجملة، وكيف يمكن استعمال القواعد النحوية بشكل يسهم في إزالة اللبس ويوضِّح المعنى بشكل دقيق، وعلى الرغم من أنَّ (أمن اللَّبس) ليس دائماً مصطلحاً مصوغاً بشكل رسمي في مؤلفاتهم، إلَّا أنَّ مفهومه كان حاضراً في العديد من دراساتهم عن التراكيب النحوية وتوضيح العلاقات بين الألفاظ.

ومن أمثلة العلماء الذين تناولوا موضوعات نحوية تسهم في (أمن اللَّبس) أو إزالة الغموض في النحو العربي:

١- سيبويه (ت١٨٠هـ) إذ يُعدُّ سيبويه من أشهر علماء النحو في اللغة العربية، وقد كتب في كتابه الكثير عن القواعد النحوية التي تساعد على فهم الجمل بشكل واضح، ممَّا يسهم في أمن اللبس، فسيبويه درس التراكيب المختلفة وكيفية إزالة اللَّبس بين الأجزاء المختلفة للجملة، فأمن اللَّبس عند سيبويه يُعد من أسس النحو العربي؛ لأنه يضمن أن الجملة تظلُّ واضحةً ومفهومةً من دون احتمالات خاطئة في الفهم إذاً سيبويه بتأصيله لهذه القواعد النحوية أسهم في تنظيم اللغة العربية بشكل يحافظ على معانيها الدقيقة ويمنع الاختلاط بين المفردات في السياقات المختلفة ومن تطبيقات (أمن اللَّبس) عند سيبويه في الموضوعات النحوية:

أ- التمييز بين العوامل والمفاعيل: في النحو العربي، يوجد العديد من الفروق بين العامل والمفعول، ولكل منهما خصائصه وميزاته:

فالعامل: هو الكلمة التي تؤثر في كلمة أخرى في الجملة وتغيِّر من حالتها الإعرابية، ويعمل العامل على

إحداث تغييرات في إعراب الكلمات التي تليه.

ومن أمثلته: (الفعل) فهو العامل في الجملة الفعلية الذي يرفعُ الفاعل وينصب المفعول به.

أمَّا المفعول: فهو الاسم الذي يتأثر بالعامل، أي الكلمة التي تكون في حالة إعرابية نتيجة تأثير العامل فيها ويتلقى المفعول تأثير العامل، ويختلف نوع المفعول بحسب نوع العامل، فالمفعول به: هو الذي يتلقى الفعل مباشرةً في الجملة والمفعول فيه: هو الذي يشير إلى الزمان أو المكان في الجملة والمفعول معه: يأتي مع الفعل ويبيّن المصاحبة. في الجملة.

وكان سيبويه حريصًا على أن تُفهم الجمل بطريقة لا تحتمل أكثر من معنى واحد على سبيل المثال، في الجمل التي تحتوي على عوامل مثل: (الفعل والمفعول به)، فيجب أن تكون العلاقة بين الفعل والمفعول واضحةً بحيث لا يحدث لبسٌ بين المفاعيل

ب-التقديم والتأخير: يُعد التقديم والتأخير من الوسائل التي اعتمدها سيبويه لتجنب اللبس فمثلاً، في الجملة (ذهب الطالبُ إلى المدرسة)، إذا تم تقديم شبه الجملة (إلى المدرسة) على الفاعل(الطالب)، قد يؤدي ذلك إلى لبسٍ في المعنى، ولذلك كان سيبويه يحرص على تقديم المعلومة الأوضح أولاً.

ت-التفريق بين المعاني المتشابهة: كان سيبويه يولي اهتمامًا خاصًا للتمييز بين المعاني المتشابهة في الجمل فمثلاً، التفريق بين: (المفعول به والمفعول لأجله) كان إحدى أدواته في تجنب اللبس، وذلك عبر توجيه القارئ أو السامع إلى الفهم الصحيح للوظيفة النحوية للكلمات. الوظيفة النحوية: المفعول به هو الاسم الذي يتلقى الفعل ويكمل معناه، أي أنه يشير إلى ما وقع عليه الفعل المفعول به: يجيب على سؤال "ماذا؟" أو "من؟" (ماذا فعلت؟). والوظيفة النحوية: للمفعول لأجله هو الاسم الذي يبين سبب وقوع الفعل أو الغاية من ورائه. بمعنى آخر، يوضح سبب أو مقصد حدوث الفعل لمفعول لأجله: يجيب على سؤال "لماذا؟" أو "لأجل ماذا؟" (لماذا فعلت هذا؟)

٢- الزجاجي (المتوفى ٣٣٧ هـ): الزجاجي كان من أبرز النحويين الذين عملوا على دراسة المعاني النحوية بعمق، واهتم بتوضيح كيف يمكن أن يؤدي عدم فهم التركيب النحوي بشكل صحيح إلى اللَّبس في مؤلفاته، مثل (إعراب القرآن) و (الاشتقاق)، إذ كان يركِّز على توضيح القواعد النحوية التي تزيل الغموض.

٣- ابن جني (المتوفى ٣٩٢ هـ): ابن جني هو أحد العلماء الذين ساهموا في دراسة القواعد النحوية بشكل موسَّع، وكان له العديد من الآراء حول كيفية إزالة اللبس في الجمل من خلال التراكيب النحوية، ولاسيَّما في كتابه (الخصائص) كما تحدَّث عن الصيغ اللغوية التي تساهم في توضيح المعاني الدقيقة.

النتائج

بعد التعمّق في دراسة متون الكتب التي تناولت التواصل عند القدماء، ونظرية التواصل عند المحدثين، توصّلنا إلى الاستنتاجات الآتية:

١- يعبّر التواصل في الفكر المعجمي عن عملية الربط والجمع بين الأفراد والجماعات، أي بين المُرسِل والمستقبِل في التواصل اللغوي أمَّا في الفكر الاصطلاحي فالتواصل قد فصَّل فيه ويشمل نوعين من الربط وهما: (الربط اللفظي والربط غير اللفظي)، فالربط اللفظي هو التواصل الحاصل من خلال اللغة بمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تحلَّل عند المستقبل للنصوص اللغوية أمَّا الربط غير اللفظي فيقصد منه لغة الجسد الذي يشمل حركة أعضاء الجسد كحركة العينين وتعابير الوجه وحركة اليدين ولون البشرة.

٢- لفظ التواصل جذره الأساسي من لفظة (وصل) وفيها زيادة للحرفين (التاء والالف) وذلك إشارةً إلى دلالةٍ جديدةٍ أضيفت إلى الكلمة عبر زيادتهما ألا وهي دلالة التفاعل والمشاركة بين أطراف الحدث الكلامي ممَّا جعلت من كلمة التواصل تحمل معنى أعمق متعلّق بالمشاركة والتفاعل المستمر بين المُرسِل والمُستقبِل؛ إذاً التواصل وسيلةٌ للمشاركة وتعزيز الروابط والعلاقات بين

أفراد المجتمع الواحد بحيث يؤدي إلى زيادة الفهم والتعاون؛ لأنَّ الفهم والتعاون هو أساس ونتيجة حتميَّة للتواصل الحاصل وهذا التواصل قد يكون تواصلاً إيجابياً وقد يكون تواصلاً سلبياً.

٣- موضوع أمن اللَّبس عند النحويين كان سببه هو تداخل المعاني أو الغموض الذي قد ينشأ عند تركيب الجمل على بعضها بعضاً وكتابة العبارات فسعى نحاة العربية إلى أمن اللَّبس من خلال توظيف التراكيب اللغوية بشكل تكون معبِّرةً عن المعنى الواضح ولا تحتمل –التراكيب– غموضاً أو لبساً في الفهم إذاً المغزى الأساس من موضوع أمن اللَّبس هو تجنُّب التداخل الحاصل في المعاني عند تشكيل الجمل والعبارات فمثلاً التشكيل الصحيح لقد ساعدنا على تجنّب اختلاط المعاني الحرصُ على الترتيب الدقيق للكلمات داخل الجمل، والمحافظةُ على الرُّتب النحوية المقررة، إلى جانب الاستخدام السليم للضمائر، ولا سيما تلك التي تحدد الفاعل أو المفعول به. كما كان لعلامات الترقيم دور بارز في رفع اللبس عن المعاني، خصوصاً عند القراءة والوقوف على مواضع الجمل.

(المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم)

١- ابن الحاجب، ج. الدين. ع. ب. ع. ب. أ. الم .(2010) .الكافية في النحو (تحقيق: صالح عبد العظيم، ط ١). القاهرة: مكتبة الآداب.

٢- ابن السراج، أ. ب. م. ب. س. (دون تاريخ) .الأصول في النحو (تحقيق: عبد الحسين الفتلي). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣- ابن جني. (دون تاريخ) .الخصائص (تحقيق: محمد علي النجار، ط ١١). لبنان: دار الهدى للطباعة والنشر.

٤- ابن عقيل، ع. ب. ع. ب. ر. العقيلي الهمداني المصري .(1980) .شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠). القاهرة: دار التراث.

٥- ابن فارس، أ. ب. ف .(1979) .معجم مقاييس اللغة (ج ١، ط ١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون). القاهرة: دار الفكر.

٦- ابن منظور، م. ب. م. ب. ع .(1993) .لسان العرب (ط ٣). بيروت: دار صادر.

٧- ابن هشام، ع. ب. ي. ب. أ .(1985) .مغني اللبيب (تحقيق: مازن المبارك، ط ٦). دمشق: دار الفكر.

٨- الأزهري، م. ب. أ. ب. أ. الهروي .(2001) .تهذيب اللغة (تحقيق: محمد عوض مرعب، ج ١٢، ط ١). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٩- الأنباري، أ. ب. ك .(2003) .الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، ط ١). بيروت: المكتبة العصرية.

١٠- بلحبيب، ر .(1998) .أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي .بحث منشور على الإنترنت.

١١- بنكراد، س .(2004) .استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة .مجلة علامات، المغرب.

١٢- تغزاوي، ي .(2014) .الوظائف التداولية واستراتيجية التواصل اللغوي .عمّان: عالم الكتب الحديثة.

١٣- الجاحظ، ع. ب. ب. م. الك. أ. ع .(2002) .البيان والتبيين (تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٧). القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٤- جاكبسون، ر .(1988) .قضايا الشعرية (ترجمة: محمد الولي، مبارك حنون، ط ١). المغرب: دار توبقال للنشر.

١٥- جيرو، ب .(1992) .علم الإشارة السيمولوجية (ترجمة: منذر عياشي). بيروت: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

١٦- حسان، ت .(1990) .مناهج البحث في اللغة .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٧- حسان، ت .(2006) .اللغة العربية: معناها ومبناها (ط ٥). القاهرة: دار عالم الكتب.

١٨- حسان، ت .(2006) .مقالات في اللغة والأدب (ط ١). القاهرة: عالم الكتب.

١٩- حسن، ع. (دون تاريخ) .النحو الوافي (ط ١٥). القاهرة: دار المعارف.

٢٠- حمدان، س .(2009) .أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي: دراسة في ضوء اللسانيات التداولية (تحقيق: محمد بو عمامة، ط ١). الجزائر: جامعة الحاج لخضر.

٢١- حمزة، س. ك. (دون تاريخ) .نظرية التوصيل في الأدب العربي الحديث (رسالة ماجستير). عمّان: دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٢- الخفاجي، أ. م. ع. ب. م. ب. س .(1982) .سر الفصاحة (ط ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٣- الذهبي، ش. الد. م. ب. أ. ب. ع .(1985) .سير أعلام النبلاء (تحقيق: حسين أسد، ط ٣). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٤- الراجحي، ع .(2004) .اللغة وعلوم المجتمع .بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

٢٥- الزاملي، م. خ .(2013) .علَّة أمن اللبس في اللغة العربية .بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٦- الزبيدي، م. ب. ح. ب. ع. ب. م. الأندلسي الإشبيلي. (دون تاريخ) .طبقات النحويين والبلاغيين (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢). القاهرة: دار المعارف.

٢٧- الزمخشري، أ. ق. ج. م. ب. ع .(1998) .أساس البلاغة (تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٨- السكاكي، ي. ب. أ. ب. م. ب. ع .(1987) .مفتاح العلوم (ضبط وشرح: نعيم زرزور، ط ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٩- سيبويه، ع. ب. ع. ب. ق. الحارثي .(1988) .الكتاب (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٣). القاهرة: مكتبة الخانجي.

٣٠- السيوطي، ج. الد. ع. ب. أ. ب .(2007) .الأشباه والنظائر في النحو (تحقيق: غريد الشيخ، ط ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

٣١- صبح، س. م. (دون تاريخ) .أثر أمن اللبس أو خوفه في القاعدة اللغوية: دراسة نحوية صرفية .جامعة الأزهر، مصر.

٣٢- عبد التواب، ر .(1997) .المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ط ٣). القاهرة: مكتبة الخانجي.

٣٣- العسكري، أ. هـ. ح. ب. ع. ب. س. ب. س. ب. ي. ب. م .(1998) .كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر (تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم). بيروت: المكتبة العصرية.

٣٤- عكاشة، م .(2005) .التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (ط ١). دار النشر للجامعات.

٣٥- عيد، م .(1989) .أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث (تحقيق: عبد الخالق ثروت). القاهرة: عالم الكتب.

٣٦- الكفوي، أ. ب. أ. ب. م. الحسين .(1998) .الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط ٢). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٧- مبارك، م. ع. ع. (دون تاريخ) .أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية .مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٣٨- المبرد، م. ب. ي. ب. ع. (دون تاريخ) .المقتضب (تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، ط ١). بيروت: دار عالم الكتب.

٣٩- مجلة أنثروبولوجيا الأديان. (دون تاريخ) .لغة الجسد وجسد اللغة عند ابن جني: رؤية تواصلية وأنثروبولوجية.

٤٠- مرتاض، ع. ج .(2000) .اللغة والتواصل .الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.

٤١- ميهوبي، و .(2010) .الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة: مفهومها وبنيتها (تحقيق: عياش فرحات). مكتبة الجزائر.

٤٢- يعقوب، إ .(1998) .قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية .بيروت: دار العلم للملايين.